الفصل السابع
دور الفكر العربى الاجتماعى العربى التقليدى
فى تطور الفكر الاجتماعى العربى المعاصر

المقدمة

١ - علماء الاجتماع العرب المحدثون فى مصر.

٢ - علماء الاجتماع العرب المحدثون فى العراق

obeikandl.com

obeikandl.com

المقدمة:

يعنى هذا الفصل بتوضيح المسارات النظرية والتطبيقية التى اقتفاها علماء الاجتماع العرب المعاصرون عند دراستهم للعمليات والظواهر والمشكلات والمؤسسات الاجتماعية التى اتسمت بطابعين أساسيين هما طابع الأصالة الذى يجمع ويوفق بين التراث والمعاصرة وطابع التغريب الذى يقلّد ويقتبس ويستنتج ما جاء به علماء الاجتماع الأجانب ومنهم الغربيون خاصة دون مراعاة للواقع الاجتماعى الذى يدرسونه وما يتسم به من تاريخ وخصوصية وصفات ثابتة لا تتميز بها الكيانات أو المجتمعات الأخرى.

لقد تأثر الفكر الاجتماعى العربى المعاصر بمؤثرات تراثية عربية أصيلة وبأفكار ومنطلقات نظرية ومنهجية مستقاة من الخارج. كما أن طروحاته وموضوعاته وأطره النظرية والمنهجية والتطبيقية كانت إما تجسد الواقع العربى وما يتسم به من مزايا منفردة وخصائص ثابتة، أو تنقل نقلاً حرفيًا وتطبيق المنقول على المجتمع العربى دون النظر أو التفكير بملائمة ما يطبق من أفكار وطروحات على الواقع العربى ومرحلته الحضارية التاريخية الخاصة به. لذا تميز الفكر الاجتماعى العربى المعاصر بصفتين أساسيتين هما الأصالة التى يحرص عليها بعض المفكرين الاجتماعيين العرب والتغريب القائم على التقليد والمحاكاة والاقتباس الذى يعبر عن نفسه بوضوح فى كتابات الكثير من الباحثين العرب[1].

تأثر علم الاجتماع العربى المعاصر بالتراث الاجتماعى العربى وأدبياته وتجسد فى الكتب والأبحاث والدراسات التى نشرها علماء الاجتماع العرب وكذلك طرق التدريس ومناهج البحث المعتمدة فى الجامعات العربية ومراكز البحوث العربية المحلية منها والإقليمية.

إن أغلب علماء الاجتماع فى الوطن العربى متأثرون بتعاليم ونظريات وفلسفة ابن خلدون الاجتماعية التى تدور حول أهمية فلسفة التاريخ فى فهم حقيقة المجتمع البشرى

---

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، علم الاجتماع العربى المعاصر بين الأصالة والتغريب، دراسة غير منشورة، بغداد، ١٩٩٤، ص ٣ - ١٠.

وحقيقة تحوله من شكل لآخر، وتهتم بدراسة أوجه الشبه بين الحقائق الموضوعية والقيم الذاتية، أى التزام الباحث بالحقائق وابتعاده عن القيم وعدم إدخال أهوائه ونزعاته وميوله واتجاهاته فى دراساته العلمية طالما أن القيم والأهواء والنزعات الذاتية تفسد الحقائق العلمية وتسىء لها وتشوّه جوهرها(١).

كما تأثر علماء الاجتماع العرب بالفلسفة الاجتماعية والسياسية عند الفارابى لا سيما ما يتعلق منها بتصنيف المجتمعات تبعًا لحجومها وقيمها وممارسات أفرادها، والأسس الفلسفية التى يعتمد عليها الاجتماع الإنسانى، وأصل نشوء المجتمع الإنسانى وأنماط تحوله من طور إلى طور آخر، بالإضافة إلى آراء وطروحات الفارابى عن القيادة من حيث مفهومها وصفاتها ووظائفها وأنواعها(٢).

كما تأثر علماء الاجتماع العرب بدراسات وتعاليم ابن بطوطة التى تدور حول الحتمية المناخية والجغرافية، أى أثر البيئة الطبيعية والظروف المناخية فى طبيعة المجتمعات المحلية والعالمية الموجودة فى المعمورة وأثرها فى عادات وتقاليد وقيم ومقاييس وأمزجة الشعوب(٣).

مما تقدم نلاحظ أن أغلب الأبحاث والدراسات التى نشرها المفكرون الاجتماعيون العرب فى مجال الفكر الاجتماعى قد تأثرت بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالفكر الاجتماعى والفسلفى التراثى عند العرب(٤).

والآن يمكن اختيار بعض علماء الاجتماع العرب المحدثين وتوضيح الطريقة التى

---

(١) بوتول، غاستون، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، ترجمة عادل زعيتر، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ٩ - ٢٢.

(٢) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، رواد الفكر الاجتماعى، مطبعة وزارة التعليم العالى، بغداد، ١٩٩١، ص ١٣ - ١٥.

(٣) ابن بطوطة، تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (مخطوطة تم إنجازها سنة ١٣٥٦م).

(4) Hegedus/ A. THe Principal Trends and Development of Applied Sociology, Kortars, Press, Budapest, 1988, p. 12.

تأثرت فيها أفكارهم وطروحاتهم وتحليلاتهم للظواهر والمتغيرات والعمليات الاجتماعية بأفكار علماء الاجتماع العرب التقليديين.

وفى هذا المقام قسّمنا علماء الاجتماع العرب المحدثين إلى صنفين من العلماء هما:

أ - علماء الاجتماع العرب المحدثون فى مصر:

لقد تأثرت الأبحاث والدراسات والمؤلفات التى نشرها الاجتماعيون العرب فى مصر بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالفكر الاجتماعى والفلسفى التراثى عند العرب، والآن علينا دراسة أهم علماء الاجتماع المصريين الذين تأثروا فى أبحاثهم ودراساتهم بالفكر الاجتماعى التقليدى من حيث الأفكار التى طرحوها والمنهجيات التى اعتمدوها فى الدراسة والتحليل والنظريات التى تبنوها فى تفسير الظواهر والعلميات الاجتماعية التى تناولوها فى دراساتهم وأبحاثهم، علمًا بأن أهم هؤلاء العلماء المصريين هم:

أولا: الدكتور على عبد الواحد وافى:

لقد حصل الدكتور على عبد الواحد وافى على شهادة الدكتوراه من فرنسا عام ١٩٣١ عن كتاباته حول النظرية الاجتماعية فى الرق والفرق بين رق الرجل ورق المرأة. وقد تعددت الاتجاهات التى كتب فيها الدكتور وافى رغم سيطرة النزعة الدينية على أغلبها.

لقد تأثر الدكتور وافى بطروحات وأفكار الغزالى المتعلقة بالتربية والسلوك ودور المربى فى التربية الناجحة، وأن السلوك هو نتيجة حتمية للتربية الأسرية والأخلاقية. ويبدو هذا واضحًا فى مؤلفه الموسوم «عوامل التربية» الذى يوضح فيه بأن تربية الطفل تتأثر بعوامل كثيرة منها مقصودة وأخرى غير مقصودة فالمقصودة هى الوسائل المدبرة التى يقوم بها الكبار من أفراد النوع الإنسانى حيال الصغار، وأهم موطن لهذا النوع هى الأسرة والمدرسة.

أما العوامل غير المقصودة فهى العوامل التى تؤثر فى نشأة الطفل ونموه من النواحى الجسمية والخلقية دون أن يكون للكبار دخل فى توجيهها نحو هذه الغاية، وأهم هذه العوامل هى القوى الطبيعية التى تؤثر فى نشأة الطفل ونموه بدون أن يكون لأحد يد

فى إثارتها وعوامل أخرى يقوم بها الطفل نفسه مدفوعًا إليها بعامل ميوله الفطرية والتى من شأنها أن تؤثر فى قواه الجسمية والعقلية والخلقية[١].

لقد تأثر الدكتور وافى فى العديد من مؤلفاته بفكر ابن خلدون الاجتماعى من خلال شرحه لمقدمته بشكل تفصيلى، حيث أوضح بأن التحول الاجتماعى يتم بشكل مستمر، وأن المجتمع البشرى شأنه شأن الفرد يمر بمراحل متعددة. وقد اعتمد الدكتور وافى مناهج متعددة فى دراسة المجتمعات أهمها منهج الملاحظة والملاحظة بالمشاركة.

ومن خلال مراجعتنا لمؤلفات ابن خلدون نجد أنه اعتمد على مناهج متعددة فى دراساته الاجتماعية، حيث بدأ دراساته بتحليل أصل وجود المجتمع وحتمية حركته وتطوره عبر الأجيال والعصور[٢].

وقد اعتمد ابن خلدون فى دراسته للمجتمعات المنهج المقارن، حيث أشار إلى ضرورة مقارنة الظاهرة بغيرها من الظواهر المرتبطة بها فى المجتمع نفسه وفى غيره من المجتمعات، بالإضافة إلى اعتماده على منهج الملاحظة والمنهج التاريخى ومنهج الملاحظة بالمشاركة والمنهج الاستقرائى الذى يستخدم بعد الانتهاء من جمع المادة حول ظاهرة البحث من خلال الملاحظة المباشرة والدراسة لمختلف الفترات التاريخية[٣].

ثانيًا: الدكتور عبد العزيز عزت:

من رواد علم الاجتماع فى مصر والوطن العربى رغم أن بداياته كانت تاريخية، حصل على الدكتوراه فى الفلسفة عام ١٩٤٣ من جامعة القاهرة. وقدم لعلم الاجتماع الشىء الكثير إبان الفترة التأسيسية، الفترة التى كانت فيها الفلسفة وعلم الاجتماع علمان متداخلان وغير مستقلين الواحد عن الآخر.

أما مؤلفاته فيمكن تصنيفها ضمن عدة اتجاهات منها الاتجاه التراثى، حيث يقع بحثه الموسوم «تطور المجتمع البشرى عند ابن خلدون فى ضوء البحوث الاجتماعية

---

(١) وافى، على عبد الواحد (الدكتور)، عوامل التربية، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١ - ٣.

(٢) وافى، على عبد الواحد (الدكتور)، مقدمة ابن خلدون، لجنة البيان العربى، ج١، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٣٦٠

(٣) ابن خلدون، المقدمة، الكتاب الأول، بيروت، دار القلم، ١٩٧٨، ص ١٧٥.

الحديثة» الذى بيَّن فيه أن ابن خلدون سبق مونتسكيو بأربعة قرون عندما بيَّن أن الحياة الاجتماعية تسير وفق سنن محددة[١].

وقد تطرق الدكتور عزت للمماثلة بين تطور المجتمع البشرى عند ابن خلدون والكائن الحى موضحًا أن حركة الحضارة عند ابن خلدون تسير فى خط دائرى وليس فى خط مستقيم كما هو الحال عند أوكست كونت.

وإذا استثنينا هذه المقارنة والتى قبلها حول مونتسكيو فإن البحث يكاد يكون أغلبه قد انصب لتوضيح آراء ابن خلدون حول العصبية وهموم الدولة نتيجة الانغماس بالملذات.

وفى اتجاه آخر يقع كتابه الموسوم «فلسفة التاريخ وعلمالاجتماع» وهو عبارة عن عرض تاريخى لحركة تطور المجتمعات البشرية عند فلاسفة التاريخ وعلماء لاجتماع ومنهم ابن خلدون، فيكون، روسو، كوندرسيه، وغيرها من الأسماء التى أشرنا إليها، غير أن هذا العرض لا يخلو من الانتقادات فإن فلسفته تشاؤمية وغالبًا ما تعتمد على التأمل أكثر من المشاهدة وتنظر لتطور المجتمعات بمنظار كونى واحد وبذلك تتسم بالتعميم.

وكل هذا يتعارض مع علم الاجتماع الذى يهتم بدراسة الواقع الاجتماعى المتباين من مجتمع لآخر ويعتدم على المشاهدة والمقارنة[٢].

وضمن الاتجاه نفسه يقع بحثه الموسوم «الجريمة وعلم الاجتماع»، حيث عرض فيه العوامل المفسرة للسلوك الإجرامى معتمداً بشكل أساسى على ما جمعه (دونالد تافت) فى كتابه الموسوم «علم الإجرام» وأوضح العوالم أو النظريات البيولوجية والنفسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية، حيث انتقد تلك العوامل وذكر أن النظريات وكأنها

---

(١) عزت، عبد العزيز (الدكتور)، تطور المجتمع البشرى عند ابن خلدون، فى ضوء البحوث الاجتماعية الحديثة، أعمال مهرجان ابن خلدون، منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، مصر، ١٩٦٢، ص ٤٢.

(٢) عزت، عبد العزيز (الدكتور)، فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع، القاهرة، ١٩٥١، ص ٣٧ - ٢٩٠.

كلها فى مستوى واحد فى قيمتها وأهميتها مع أن بعضها يفوق البعض[1].

أما كتابه الموسوم «تطور المجتمعات المتأخرة» فهو يقع فى اتجاه آخر أجاد فيه الدكتور عزت ولم يكن ناقلاً فحسب، بل كان مناقشًا ومحللاً، وفى هذا الكتاب يظهر مدى تأثر الدكتور عزت بالنزعة التطورية، وأوضح بأن تطور الحياة الاجتماعية المدنية أو التاريخية، والثالث يسميه تطور المجتمعات القومية أو الحديثة التى ظهرت منذ القرن الحادى عشر، عندما بدأت حركة النهضة الأوروبية وبدأت الأمم تنفصل عن الكنيسة، وظهور الإمبراطوريات الحديثة، أما عن تطور المجتمعات المتأخرة فقد أكد أن المجتمعات البشرية تطورت من البسيط إلى المركب، أى أن كل مجتمع سابق يكون أصغر حجمًا فى عدد سكانه وأقل أيضًا فى مستوى حضارته من المجتمع الذى يليه. وفى هذه الآراء يبدو واضحًا تأثير ابن خلدون عليه، والذى سبقه بقرون عديدة فى تقسيمه للمجتمعات البدائية التى اعتبرها تمثل المرحلة الأولى من تطور المجتمعات البشرية بصورة عامة، فهى أيضًا قد مرت بمراحل لا تزال بعض أشكالها قائمة فى الكثير من المجتمعات البدائية فى الوقت الحاضر وخاصة عند الأسكيمو والهنود الحمر وبعض القبائل الأفريقية. ورغم المعلومات التى قدمها الدكتور عزت عن تطور المجتمعات البدائية التى اعتبرها تمثل الشكل الأول للحياة الاجتماعية المتطورة، إلا أننا لم نجد تفسير لسبب وجود مثل تلك المجتمعات، وإنما اكتفى بتحليل أبنيتها الاجتماعية، دون الخوض فى غماره لأنه اعتبر ذلك نوعًا من التأمل الفلسفى والظنى المجرد[2].

هذه هى الخطوط العامة لآراء وأفكار الدكتور عزت فى مختلف مؤلفاته، ويبدو منها أنه كان مهتمًا كثيرًا بالجانب التراثى ومتأثرًا بما كتبه ابن خلدون عن تطور المجتمعات البشرية، بالإضافة إلى ذلك فإنه ساعد على نقل المعرفة الأكاديمية فى مجال علم الاجتماع والإنسان إلى واقع عمل ملموس واستعان بالمنهج التاريخى المقارن فى أغلب بحوثه ودراساته.

---

(١) عزت، عبد العزيز (الدكتور)، الجريمة وعلم الاجتماع، مجلة علم النفس، المجلد الثامن، العدد الأول، دار المعارف، مصر، ١٩٥٣، ص ٤٩ - ٥٤.

(٢) عزت، عبد العزيز (الدكتور)، تطور المجتمعات المتأخرة، دار المعارف بمصر، ط٣، القاهرة، ١٩٥٧، ص٣.

ثالثاً: الدكتور حسن الساعاتى:

لقد حصل الدكتـور الساعاتى على شهادة الدكتوراه من جـامعة لندن عام ١٩٤٦ عن رسالته الموسـومة «جنوح الأحداث فى مصـر». وبالإضافة إلى مؤلفـاته المتعددة فى حقل علم الاجتماع فـإن له ترجمات عديدة ومراجعات لكتب مختلفـة فى مجال خدمة الفرد والجماعة.

إن بحث الدكتور الساعاتى الموسوم «المنهج الوضعى عند الإمام الغزالى» الذى بيَّن فيه أن كلا من الغزالى وكونت هدفا إلى إصـلاح المجتمع على أسس موضوعية، إلا أن الغزالى كان أقدم من كـونت لتمييزه ما بين الملاحظة المقصودة التى تعـتمد على المشاهدة والسماع ومـا بين الملاحظة المقيدة التى ترتبط بالتـجربة العملية، بالإضـافة إلى الملاحظة بالمشاركة التى قصد ها الإمام الغزالى عدم تقبل الرأى إلا بعد التدقيق والتمحيص[1].

أما بحثه المـوسوم «المنهج العلمى فى مقدمة ابن خلدون» الذى وضح فـيه اهتمام ابن خلدون بالبحث عن العلل والأسباب للحوادث والوقائع التاريخية، فضلاً عن تأكيده على أهمية تزود الباحث بالمعارف المتنوعة.

ويتجـسد المنهج العلمى عند ابن خلدون فى مؤلـفات وأبحاث السـاعـاتى، حيث يوضح ذلك من خلال تأكيده على ضرورة تثبيـت الحقائق والاستعانة بالملاحظة والمقارنة للوصول إلى تلك الحقـائق. كما أشار الدكتور السـاعاتى بأن ابن خلدون قد وظَّف كل تلك المبادى فى مقدمته المشهورة وآراءه فيها عن الاجتماع البشرى.

وضمن الاتجاه نفسه يقع كتابه الموسـوم «علم الاجتماع الخلدونى، قواعد المنهج» الذى وضح فيه بشكل واسع آراء ابن خلدون موضحًا على أنه بالإمكان الاستدلال منها على الكثير من فروع علم الاجـتماع كعلم الاجتماع السياسى وعلم الاجـتماع الحضرى الذى درس فيـه توسيع المدن ومـا يرتبط بها من ظـواهر اجتمـاعيـة، وعلم الاجتـماع الصناعى والاقتـصادى الذى وضح فيه مـسائل المعاش ووجـوهه من الكسب والضائع، وتطرق الدكتـور السـاعـاتى فى هذا المؤلف عن كيفـية استـفادة ابن خلدون من مـعارف

---

(١) الساعاتى، حـسن (الدكتور)، المنهج الوضعى عند الإمـام الغزالى، مهرجـان الغزالى فى دمشق (١٩٦١)، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلـوم الاجتماعيـة، القاهرة، ١٩٦١، ص ٤٣٣ - ٤٤٥.

الأولين وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فى توضيح أثر الفساد فى زوال الملك وانهيار الدولة[١].

ويعد المؤلف أعلاه من أهم ما كتب عن ابن خلدون موضحًا مصادره ومنظريته فى صراع البداوة والحضارة وآراءه فى نشوء الدولة وانهيارها.

وقد تحدث الدكتور الساعاتى فى مجالات أخرى أهمها فى مجال مكافحة الجريمة والجنوح آنذاك لأهميته فى معالجة مشاكل الشباب فى الوطن العربى ويقع كتابه الموسوم «علم الاجتماع القانونى» فى نفس الاتجاه، حيث تناول فى القسم الأول منه مراحل تطور الوعى للعدالة عبر العصور موضحًا تداخل القانون مع الأعراف والعقائد والتقاليد عبر العصور، أما القسم الثانى فقد تناول فيه آراء ابن خلدون عن موضوع الضبط الاجتماعى الذى أكد فيه على حاجة الإنسان لقوة قاهرة تمنع اعتداء شخصى على آخر وهذه القوة هى السلطة وموضحًا الوسائل الأساسية للضبط الاجتماعى من تربية ورأى عام وعرف وقانون ودين، وطالب الدكتور الساعاتى بضرورة دراسة الآثار الاجتماعية المنبعثة عن التصنيع للتخطيط إلى المستقبل على أسس علمية سليمة.

وضمن الاتجاه نفسه يقع بحثه الموسوم «النظريات الإجتماعية لتفسير السلوك الإجرامى» الذى بدأه بتوضيح اختلاف العلماء فى تفسير السلوك الإجرامى ما بين العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية، موضحًا العوامل الاجتماعية المفسرة لذلك السلوك التى تدخل ضمنها العوامل الاقتصادية، ووسائل الإعلام، والتفكك العائلى والتناقض ما بين الثقافة الكلية التى يحميها القانون وما بين الثقافة الفرعية.

أما بحثه الموسوم «معوقات التنمية وانعكاساتها فى الدول العربية وخاصة فى مصر» وقد اتجه الدكتور الساعاتى فى بحثه هذا ينقد بعض الباحثين الذين عكسوا بدراساتهم تجاوزهم لواقع المجتمع العربى بسبب انبهارهم بتجارب تنموية دون غيرها تبعًا لطبيعة البلدان التى درسوا فيها رأسمالية كانت أم اشتراكية دون مراعاة الواقع العربى وخصوصيته[٢].

---

(١) الساعاتى، حسن (الدكتور)، علم الاجتماع الخلدونى، قواعد المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١، ص ٣٠ - ٢٠٠.

(٢) الساعاتى، حسن (الدكتور)، معوقات التنمية وانعكاساتها فى الدول العربية وخاصة مصر، ندوة تطبيق المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية على التخطيط للتنمية فى الوطن العربى، الندوة الثانية، تونس ١٩٨٣، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٧، ص ٥٩.

أما كتابه الموسوم «التصنيع والعمران» فقد تضمن هذا الكتاب مدخلاً تاريخيًا بين فيه اهتمام المفكرين العرب بحقل الصناعة، وخاصة الغزالى الذى عد الصناعة والتجرة من ضرورات الحياة. وابن خلدون الذى بيَّن أهمية تقسيم العمل، حيث أكد أن إعداد الطحين مثلاً يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات من حدادة ونجارة وفخار[1].

كما أن للدكتور الساعاتى محاولة فى صياغة نظرية عن الشخصية، وهذه النظرية مبنية على افتراض تفاعل قائم بين التشكيلات النفسية التى تتكون منها شخصية الفرد. وتعرف هذه النظرية بأن السلوك البشرى الاجتماعى موجه نحو الآخرين وبطريقة غير مباشرة موجه نحو الشخصية ذاتها.

كما أشار الدكتور الساعاتى فى هذا الكتاب إلى اكتشاف جديد جاءت به د. سامية حسن الساعاتى، حيث استطاعت بعد قراءة متأنية متعمقة لمقدمة ابن خلدون أن تكتشف اسم العلم الاجتماعى الذى أنشأه وهو «علم معاشرة أبناء الجنس» الذى اختصرته إلى علم المعاشرة»، حيث إن المصطلح الفرنسى (Sociologie) (سوسيولوجى) الذى صاغه أوكست كونت فى أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر يعنى حرفيًا علم المعاشرة الذى وصفه ابن خلدون سنة ١٣٧٧م أى قبل كونت بأربعة قرون ونصف[2].

ومما تقدم فإن أغلب بحوثه وخاصة الميدانية منها كانت لديه أطر نظرية بما قاله العلماء بهذه المشكلة أو تلك، وإن لم يكن يلتزم بنظرية أو رأى دون آخر، وإنما يتخذ منها مؤشرات مساعدة فى التحليل والاستنتاج. والدكتور الساعاتى له شهرة واسعة فى مجال علم الاجتماع فى الوطن العربى لما قدمه لذلك العلم من خدمة جليلة فى مختلف المجالات، وقد استعمل الدكتور الساعاتى فى عرضه لتلك المؤلفات المنهج التاريخى والمقارن والمنهج الإحصائى.

---

(١) الساعاتى، حسن (الدكتور)، التصنيع والعمران، بحث ميدانى للإسكندرية وعمالها، ط٣، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص ٤ -٥.

(٢) الساعاتى، سامية حسن (الدكتور)، علم المعاشرة والسيولوجى بين ابن خلدون وأوكست كونت، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ١٩، ع١، ٢، ٣، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، مصر، ١٩٨٢، ص ١٥ - ٢٠.

رابعًا: الدكتور محمد على محمد:

لقد حصل الدكتور محمد على محمد على شهادة الدكتوراه فى علم الاجتماع فى جامعة الإسكندرية عام ١٩٧١. ويعد بحثه الموسوم «النظرية الاجتماعية، مصادرها وأصولها» من أهم البحوث التراثية التى عرض فيها أثر الفلسفة والتاريخ والعلوم الصرفة فى صياغة الأطر النظرية لعلماء الاجتماع المحدثين[١].

لقد تأثر الدكتور محمد فى بحثه الموسوم «علم الاجتماع والمنهج العلمى» بنهجية البحث الاجتماعى التى اعتمدها ابن خلدون فى التحليل والتفسير للبحوث الاجتماعية وأهمها منهج البحث التاريخى ومنهج الملاحظة بالمشاركة والمنهج المقارن، حيث شرح الدكتور محمد هذه المناهج بالأسلوب الذى أوضحه ابن خلدون وغيره من المفكرين الاجتماعيين العرب التقليديين.

وقد استفاد الدكتور محمد فى مؤلفه الموسوم «الأسس الاجتماعية للتنظيم والإدارة» من آراء وأفكار الرواد العرب الأوائل فى تطور الفكر الاجتماعى العربى، وخاصة آراء وأفكار الفارابى عن القيادة وأهم الصفات الواجب توفرها فى القائد موضحًا بأن هناك صفات فطرية وصفات مكتسبة من البيئة التى يوجد فيها.

وحاول تفسير طبيعة القيادة من خلال تحديد أساليب القيادة وأنماطها كالقيادة الدكتاتورية والأوتوقراطية والديمقراطية والفوضوية. وفى مجال آخر وضع الأسس الرئيسة لاختيار القادة والصفات الواجب توفرها فى القائد[٢].

أما مؤلفه الموسوم «تاريخ علم الاجتماع والرواد والاتجاهات المعاصرة» فقد أوضح الدكتور محمد أهمية التغير الاجتماعى فى تطور الأنواع المختلفة للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأضاف بمرور الأيام والأوقات فإن الأشخاص والمدن يتغيرون من حال إلى حال وأن هذا التطور أو التبدل يرجع إلى أسباب سياسية واقتصادية.

---

(١) محمد، محمد على (الدكتور)، النظرية الاجتماعية، مصادرها وأصولها، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الخامس، العدد الثالث، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، مصر، ١٩٦٨، ص ٣٠٠ - ٣٤٠.

(٢) محمد، محمد على (الدكتور)، الأسس الاجتماعية للتنظيم والإدارة، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٨، ص ٣٨٩.

ومما تقدم يتضح لنا تأثر الدكتور محمد بابن خلدون الذي يؤكد علي حتمية تغير المجتمع من نمط لأخر مؤكدا على أن أي تغير يرجع إلى ضعف السلطة مما يؤدي إلى حدوث حالة صراع دائم بين الحضارة والبداوة وهو أساس التغير الاجتماعي بالنسبة لابن خلدون.

وبهذا فإن ابن خلدون قد أوضح بطريقة مؤثرة أسباب التفتت السياسي واضطراب الأمن الذي عم المنطقة في عصره[1].

أما مؤلفه الموسوم "أصول الاجتماع السياسي" فقد تأثر الدكتور محمد بأفكار الغزالي في الاجتماع السياسي موضحاً بأن الدولة هي نتاج لتفاعل مجموعة من العوامل والأحداث التي أدت إلى ظهورها، وأن الدولة تجمع فريد بين كافة تنظيمات المجتمع المدني وذلك نتيجة للدور الهائل الذي يؤديه هذا المجتمع.

ومعني ذلك أننا نمنح الدولة سلطة عليا لصياغة القوانين وتنفيذها وتكوين قواعد عامة تنظيم العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

ولهذا فإن الدولة هي قوة تهيمن على كافة القوي الأخرى وتمارس هذه القوة من خلال الأنظمة المعروفة البيروقراطية والقضائية والعسكرية.

ومن جهة أخرى تقوم الدولة على نوع من الاتفاق أو الإجماع أو العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وبهذه أصبحت تجمعاً مدنياً له أجهزته الخاصة، لذا فعلي الجميع أن يخضعوا للقانون وأن يمتثلوا لنظام الدولة[2].

ولو رجعنا إلى أفكار الغزالي في مجال الاجتماع السياسي الذي يتكلم عنه في سياق دراسته لأصل نشوء المجتمع ونموه نجده يركز على طبيعة العلاقة التي تربط الخلافة بالأفراد، فالخلافة التي تسيطر على المكانة الإدارية للدولة جاءت من أجل تأمين مصالح الأفراد وحماية حقوقهم والدفاع عنهم وتنمية أحوالهم وإزالة مشكلاتهم، وقد أدت الدولة التزاماتها للأفراد عن طريق الواجبات الكثيرة التي قدمتها لهم.

أما أهمية الأفراد للخلافة فتتجسد في الطاعة والولاء والدفاع عن مصالح الخلافة وتثبيت أقدامها ورفع هيبتها والتعاون معها في الظاهر والباطن، لذا يظهر

---

(1) محمد، محمد علي(الدكتور)، تاريخ علم الاجتماع، الرواد والإتجاهات المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٤٥ – ٧٥.

(2) محمد، محمد علي(الدكتور)، دراسات في علم الاجتماع السياسي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ١٩٧٧، ص ١٧٧.

الاجتماع السياسي كما يخبرنا الغزالي عندما تتوطأ أركان التعاون المشترك بين الحكومة والأفراد، هذا التعاون الذي يتوخي تحقيق المصلحة الجماعية التي تمكن في تأمين رغبات وإرادات وأهداف الحكام والأفراد[1].

ب- علماء الاجتماع العرب المحدثون في العراق:

إن أغلب علماء الاجتماع سواء كانوا في العراق أو العربي متأثرون بتعليم ونظريات وفلسفة ابن خلدون الاجتماعية التي تدور حول أهمية فلسفة التاريخ في فهم حقيقة المجتمع البشرى وحقيقة تحوله التطوري من شكل إلي شكل أخر.

ومثلما تأثر علماء الاجتماع المصريون بالفكر الاجتماعي العربي التقليدي فإن علماء الاجتماع العراقيين هم أيضاً تأثروا بالفكر الاجتماعي العربي التقليدي, وبصورة خاصة ابن خلدون والفارابي المتعلقة بتصنيف المجتمعات تبعاً لحجومها وقيمها وممارسات أفرادها, بالإضافة إلي آرائهما وطروحاتهما عن القيادة من حيث مفهومها وصفاتها ووظائفها وأنواعها.

إضافة إلي تأثرهم بأفكار ابن بطوطة والإدريسي وابن سينا وابن الأزرق وإخوان الصفا والغزالي[2].

والآن نوضح أهم المفكرين الاجتماعيين العراقيين الذين تأثروا بالفكر الاجتماعي التقليدي وهم كما يأتي:

أولاً: الدكتور علي حسين الوردي:

لقد حصل الدكتور علي الوردي على شهادة الماجستير والدكتوراه من جامعة تكساس بأمريكا، وتأثر الدكتور الوردي في مؤلفه الموسوم "طبيعة المجتمع العراقي" بنظرية ابن خلدون عن الحضارة والشخصية، وتطرق فيه للحديث عن ابن خلدون ونظريته وأخلاق البدو والريف والحضر[3].

---

(1) الحسن، إحسان محمد(الدكتور)، رواد الفكر الاجتماعي، دراسة تحليله في تاريخ الفكر الاجتماعي، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١، ص ١٣- ١٠٣.

(2) الحسن، إحسان محمد(الدكتور)، الفكر الاجتماعي بين التراث والمعاصرة وبين الأصالة والتقليد، دراسة منشورة، جريدة القادسية، ٣١ آذار، ١٩٩٠، ص ٣.

(3) الوردي، علي حسين(الدكتور)، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٥، ص١١.

وقد أوضح الدكتور الوردي ازدواجية الشخصية قائلاً: (الواقع أن هناك فرقاً كبيراً بين ما يقصده علماء لنفس من ازدواج في الشخصية وما يقصده علماء الاجتماع، فالازدواج يعتبر من الناحية النفسية مرضاً نادراً يعتري بعض الأفراد من جراء عوامل وظروف خاصة.

أما ازدواجية الشخصية بالمعني الاجتماعي هو آمر آخر، فهو ليس مرضاً نفسياً، وإنما هو ظاهرة، وهو يحدث في كثير من الناس حيث يظهر لديهم صراع ثقافي كما قال الباحثان(بيج ومكايفر) فقد أطلق هذا الباحثان على ظاهرة ازدواج الشخصية اسم الثنائية القافية... وأضافا عندما يتعرض الفرد لمطالب وثقافات اجتماعية متناقضة لا سيما في مراحل نموه الأولى قد لا يتمكن من تكوين شخصية متكاملة في نفسه، فهو يحاول أن يوفق بين تلك المطالب المتناقضة دون جدوى ولهذا فهو قد يصبح ذا شخصية مزدوجة قليلاً أو كثيراً.

وقد أعطي الدكتور الوردي للازدواجي عمق تاريخي أرجعها إلى الصراع ما بين البداوة والحضارة، وبالتالي صعوبة التخلص من تلك الازدواجية.

أما مؤلفه الآخر الذي كان متأثراً بآراء وأفكار ابن خلدون فهو بحثه حول صراع القيم في المجتمع العربي حيث بين فيه سيطرة قيم البداوة على المجتمع العربي بصورة عامة وما سبب ذلك من ازدواجية في الشخصية، أما بحثه الموسوم(ابن خلدون والمجتمع العربي) الذي أكد من خلاله أسبقية ابن خلدون بتأسيس علم الاجتماع من غيره من العلماء لاعتماده علي منهجية علمية قائمة علي الملاحظة بالمعايشة والمقارنة والتحقق من الأخبار المنقولة[1].

أما عن مجال استخدام نظرية ابن خلدون في الصراع ما بين البداوة والحضارة في دراسة المجتمع العربي،فإنه يعتقد أن المجتمع العربي الحاضر من أكثر المجتمعات تأثراً بالقيم البدوية ولا تزال هذه القيم متغلغلة في أعماق نفوسنا من حيث نشعر أو لا نشعر، ولعل الكثير من مشاكلنا الاجتماعية ناشئة عن التصادم بين القيم البدوية القديمة والقيم الجديدة التي جاءت بها الحضارة الجديدة.

---

(١) الوردي، علي حسين(الدكتور)، ابن خلدون والمجتمع العربي،أعمال مهرجان ابن خلدون، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٥١٧.

ويضيف هنا الدكتور الوردي: لابد أن يكون هناك فكر اجتماعي عربي لبناء نهضة الأمة العربية الحديثة على شرط ألا نكون مقلدين بحيث عمل ما في مجتمعنا من خصائص وظروف متميزة عن غيره، فمجتمعنا العربي لا يزال يحتفظ بكثير من الخصائص التي كانت له أيام ابن خلدون، وهذا يعني أن نظرية ابن خلدون لا تزال تحتفظ بجديتها وهي ذات فائدة كبيرة يمكننا الاستفادة منها في دراسة واقعنا الراهن.

ومن الجدير بالذكر أن نظرية الصراع بين البداوة والحضارة عند ابن خلدون كانت مدخلاً لأغلب مؤلفات الدكتور الوردي التي اعتمد عليها في صياغة فرضياته عن الشخصية العراقية، وضمن هذا الاتجاه يقع كتابه الموسوم(منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته) وتناول فيه الباحث حياة ابن خلدون وآثاره العملية والمناهج التي اعتمدها ابن خلدون، بالإضافة إلى الإشارة إلى عدد من الفلاسفة والفقهاء الذين تأثر بهم وأسباب عبقريته ومنهجه العلمي الذي جسده بنظرية الصراع ما بين البداوة والحضارة[1].

هذه هي جزء من مؤلفات الدكتور على الوردي التي تأثر فيها بنظرية ابن خلدون الصراعية، واستعان بعرضها بالمنهج التاريخي في الدرجة الأولى ثم المنهج المقارن، كما حصل على مادته العلمية عن طريق الملاحظة بالمشاركة، وإن ما كتبه الدكتور الوردي عن ابن خلدون هو جهد له قيمة علمية كبيرة.

ثانياً: الدكتور عبد الجليل الطاهر

حصل الدكتور عبد الجليل الطاهر على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة شيكاغو بأمريكا سنة ١٩٥٢ عن أطروحته(الجاليات العربية في أمريكا).

الدكتور الطاهر له عدة مؤلفات في مجالات مختلفة بالإضافة إلى الترجمة، أبرز مؤلفاته كتابه الموسوم " البدو والعشائر في البلاد العربية" وبعد هذا الكتاب من الكتب القيمة لما تضمنه من مفردات وعمق وتحليل للأسس الاجتماعية والنفسية التي يقوم عليها المجتمع البدوي والعشائري مركزاً هنا على آراء ابن خلدون في العصبية القبلية والحقوق والواجبات في كلا المجتمعين، وأثر البدو والعشائر في السياسة والصراع ما بين الولاء للقبيلة والولاء للوطن والنظام العائلي من حيث الأدوار

---

(١) الوردي، علي حسين(الدكتور)، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١٩- ٢٧.

والعلاقات الاجتماعية في الريف والحضر، وخصائص المجتمع البدوي(التنقل، الغزو، النخوة...) وتوزيع البدو والقبائل والعشائر[1].

وضمن الاتجاه نفسه يقع بحثه الموسوم "مسيرة المجتمع بحث في نظرية التقدم الاجتماعي" ويكثر في هذا البحث عدة تساؤلات منها هل أن المجتمعات في فجر الحضارات الأولى كانت أكثر سعادة منها؟ المدينة التي تتمتع بثمارها تكلفنا أثماناً باهظة؟ ندفعها علي حساب قيمنا الحضارية الروحية؟ تلك التساؤلات كانت مثار جدل في هذا الكتاب الذي تضمن آراء فلاسفة العقد الاجتماعي.

وقد أثبت الدكتور الطاهر مقدرة فائقة في التعرف بتلك الفلسفات والآراء المفسرة لحرة المجتمع بمنظور تاريخي مقارن.

وقد تأثر الدكتور الطاهر في مؤلفه المذكور أعلاه بدراسات ابن خلدون عن التغير والديناميكية الاجتماعية، هذه الدراسات التي تعتقد بحتمية تحول المجتمع من نمط إلى آخر[2].

فالمجتمع بالنسبة لابن خلدون كالكائن الحيواني الحي يولد وينمو ويتكامل يضعف ويموت وفي حركته التحولية هذه يمر في ثلاث مراحل أساسية هي مرحلة البداوة والمرحلة الريفية وأخيراً المرحلة الحضارية، وسبب مسيرة أو حركة المجتمع من مرحلة إلى أخري كما يعتقد ابن خلدون هو ضعف العصبية وتفتت التضامن بين أفراده وشيوع الرفاهية والرخاء والاستقرار في ربوعه وعجز الناس عن الدفاع عن أنفسهم، ففي مثل هذه الظروف يتعرض المجتمع إلى العدوان والاحتلال فيتحول من شكل إلى شكل آخر.

لقد استفاد الدكتور الطاهر من أفكار ابن خلدون عن مسيرة المجتمع واستعملها في مؤلفه هذا، حيث تطرق إلى أفكار وأطروحات وتحليلات علماء الاجتماع عن تحول المجتمعات البشرية من حيث أسباب التحول ومراحله، ونتيجة التحول على الإنسان والمجتمع، كما تأثر الدكتور الطاهر في دراسته لمسيرة المجتمع بأسلوب ابن خلدون

---

(١) الطاهر، عبد الجليل الطاهر(الدكتور)، البدو والعشائر في البلاد العربية، محاضرات على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية العالية، مصر، ١٩٥٥، ص١ – ١٤٣.

(٢) الطاهر، عبد الجليل الطاهر(الدكتور)، مسيرة المجتمع، بحث في نظرية التقدم الاجتماعي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٥ – ١٠.

الذي يفسر حركة وديناميكية المجتمع الإنساني فهو يعتقد بأن مسيرة المجتمع العربي هي نتاج للصراع المزمن بين البداوة والحضارة، وإن المجتمع العربي قد تحول من البداوة إلى الحضارة وخلال تحوله هذا مر بمرحلة المجتمع الريفي[1].

وقد أوضح الدكتور الطاهر هذه الأفكار في بحثه الموسوم "الهجرة من الريف إلى المدينة".

هذه هي أغلب مؤلفات الدكتور الطاهر والتي استعان بعرضها بالمنهج التاريخي والمقارن، والمنهج الإحصائي.

ثالثاً: الدكتور شاكر مصطفي سليم:

حصل الدكتور شاكر مصطفي سليم على شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا من لندن عام ١٩٥٥ عن رسالته الموسوم "الجبايش دراسة أنثروبولوجيا لقرية في أهوار العراق" فبالإضافة إلى مؤلفاته المتعددة فإن للدكتور سليم نشاط علمي في مجال الترجمة.

ففي رسالاته الموسومة أعلاه تناول دراسة النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لمجتمع القرية، حيث درس النظام الاجتماعي للعشيرة والفخذ والعائلة والقرابة والطبقات الاجتماعية وأثر المضيف في حياة القرية.

وتعد هذه الدراسة واحدة من الدراسات الأنثروبولجية المهمة التي اتسمت بعمق التحليل وإيجاد التأثير المتبادل ما بين الأنظمة، وعليه حصلت على شهرة عربية وعالمية واسعة.

وتجدر الإشارة إلى أن مؤلف الدكتور شاكر مصطفي سليم الموسوم "سكان المستنقعات في جنب العراق" هو الآخر قد تأثر بالنظرية العضوية والسكونية لابن خلدون على الرغم من ادعائه بأنه من أحد الأنثروبولوجيين الوظيفيين الذين تأثروا بالمدرسة الوظيفية البريطانية لعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية[2].

---

(١) الطاهر، عبد الجليل الطاهر(الدكتور)، المشكلات الاجتماعية في حضارة متبدلة، ط٦، مطبعة المعرفة، بغداد، ١٩٥٣، ص ٢٣.

(٢) الحسن، إحسان محمد(الدكتور)،علم الاجتماعي العربي المعاصر بين الأصالة والتغريب، دراسة غير منشورة، بغداد، ١٩٩٤، ص ٣٥.

ذلك أن وصف وظائف المؤسسات الاجتماعية للمجتمع البسيط "مجتمع الجبايش" وتحليل هذه المؤسسات وتداخل الهياكل بعضها مع البعض يشير إلى تأثر الدراسة بنظرية ابن خلدون السكونية, علماً بأن هذه النظرية تؤكد علي وحدة وتكامل الأنظمة الاجتماعية القروية كالأنظمة السياسية والاقتصادية والدينية والعائلية خلال فترة زمنية معينة.

وقد أوضح الدكتور سليم نوع من التأثير المتبادل ما بين النظامين الاقتصادي والاجتماعي، فبعد دخول نظام الإدارة الجديدة للقرية واتصالها بالعالم الخارجي ظهر اقتصاد السوق القائم على الربح، مؤكداً أن أصحاب الدكاكين والتجار في الجبايش أثاروا سخط العشيرة بتكالبهم غير المشروع على الربح، وقد أخل ذلك النظام بالعلاقات بين الطبقات الاجتماعية والاقتصادية إخلالاً تاماً، كما أنه عكس إمكانية وجود نوعين من القيم القبلية والتجارية في نفس المجتمع جنباً إلى جنب، استخلص د. سليم بان اقتصاد أهل الجبايش آنذاك مقيد بالتقاليد القبلية تقيداً شديداً حيث يعاني أهل القرية من صعوبات متعددة بسبب تمسكهم بمثلهم القبلية التي تحول بينهم وبين استخدام طرق جديدة لاستغلال بيئتهم الطبيعية القاسية ورفع مستوي معيشتهم المنخفض.

وقد استعان الدكتور سليم بالمنهج التاريخي والمقارن بالإضافة إلى الملاحظة بالمشاهدة في أغلب مؤلفاته التراثية، ويظهر ذلك واضحاً من خلال تحليله البنى الوظيفية للمجتمع المدروس في قرية الجبايش.

رابعاً: الدكتور إحسان محمد الحسن:

حصل على شهادة البكالوريوس بدرجة شرف من جامعة لندن عام ١٩٦٦، وعلى شهادة الماجستير في علم الاجتماع التطبيقي من جامعة كلاسكو البريطانية عام ١٩٦٧، وشهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة بودابست عام ١٩٧٧، كما حصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة لندن عام ١٩٨٦، وشهادة هابيل في علم الاجتماع بدرجة امتياز من أكاديمية العلوم المجرية ببودابست عام ١٩٨٨.

الدكتور إحسان محمد الحسن نتاج كبير من المؤلفات المنشورة والتي تجاوزت الخمسين مؤلفاً شملت اتجاهات متعددة أبرزها مؤلفة الموسوم "رواد الفكر الاجتماعي, دراسة تحليلية في تاريخ الفكر الاجتماعي" لقد سهل هذا الكتاب علي الباحثين والدارسين

عملية فهم وأدراك كل ما يتعلق بمسيرة ومبادئ ونظريات ومناهج وتعاليم قادة الفكر الاجتماعي, فالكتاب يبدأ بدراسة الأفكار والطروحات الاجتماعية عمد العرب والمسلمين خلال فترة القرون الوسطي, ثم يعالج قضايا ومشكلات الفكر والنظرية الاجتماعية خلال القرن التاسع عشر[1].

ففي هذا الكتاب تأثر الدكتور الحسن بأفكار ابن خلدون والفارابي واعتمد علي مناهجهما الاجتماعية في فهم واستيعاب الفكر الاجتماعي عند العرب خلال فترة القرون الوسطي, موضحاً بأن دراسة الأفكار والمناهج والنظريات الاجتماعية خلال الحقب المتباينة تكون من خلال وصف وتحليل المبادئ والأفكار والنظريات والمناهج الاجتماعية عند علماء الاجتماع الكبار كل علي انفراد. ففي هذا الكتاب تأثر الدكتور الحسن بالفارابي من خلال توضيح طبيعة الاجتماع البشري موضحاً فيه أنه من الضروري

([1]) الحسن, إحسان محمد (الدكتور), رواد الفكر الاجتماعي, دراسة تحليلية في تاريخ الفكر الاجتماعي, مطبعة دار الحكمة, بغداد, ١٩٩١ , ص ١٠ – ٣٠ .

obeikandl.com

للإنسان أن يتعاون مع بنى جنسه حتى تتحقق الغاية من الاجتماع الإنسانى، إذ يعتقد أن الإنسان حيوان اجتماعى بالطبيعة نظرًا لسيطرة الغريزة الاجتماعية عليه سيطرة كاملة، وأن اجتماعية الإنسان هى التى تدفعه إلى تكوين علاقات اجتماعية مع الغير وبالتالى ظهور أنماط مختلفة من التضامن كالتضامن الاقتصادى والسياسى والدينى. . .إلخ[1].

أما المفكر العربى المشهور ابن خلدون فإنه أخذ حيزًا كبيرًا فى مؤلفات الدكتور الحسن، حيث أوضح الدكتور الحسن بأن ابن خلدون يعد أكثر من غيره من علماء ومفكرى العرب والمسلمين إنتاجًا فى مجال علم الاجتماع وذلك لموضوعيته وعلميته ودقة ما كتبه عن طبيعة الإنسان والمجتمع والحضارة، وأهمية الموضوعات التى درسها وعالجها ودورها فى إغناء العلوم المعروفة فى زمانه، إضافة إلى أثره الفاعل فى اكتشاف أنماط جديدة من الدراسات سرعان ما أدت إلى ظهور علوم لم يعرفها الإنسان من قبل خصوصًا علم الاجتماع الذى سماه بـ «علم العمران البشرى» وعلم فلسفة التاريخ.

وأوضح الدكتور الحسن بأن ابن خلدون كما يعترف علماء الغرب المنصفون والموضوعيون اكتشف علم الاجتماع وحدد مضامينه وأبعاده، ومنهجيته وشخّص طبيعته وعلاقته بالعلوم الاجتماعية والطبيعية الأخرى، ووضّح أهمية هذا العلم فى فهم طبيعة البشر واستيعاب عناصر المجتمع والحضارة خلال القرن الرابع عشر الميلادى[2].

بينما علماء الغرب لم يهتموا بالدراسات الاجتماعية المرتكزة على حقول علم الاجتماع أو العمران البشرى إلا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبهذ يكون ابن خلدون قد سبق علماء وأساتذة الغرب باكتشاف علم الاجتماع ونضوج منهجيته وتحديد مضمينه وأبعاده النظرية والعلمية بفترة تزيد على أربعة قرون.

لقد تأثر الدكتور الحسن بأفكار وآراء وطروحات ابن خلدون من خلال دراسته للمجتمع دراسة تاريخية إذ يعتقد بأن المجتمع يمر فى مراحل تاريخية متباينة وكل مرحلة حضارية متصلة بالمرحلة الحضارية التى سبقتها، وأشار إلى أن دراسة الماضى ترشدنا إلى

---

(١) بوتول، غاستون، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، ترجمة عادل زعيتر، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٠ - ٢٢.

(٢) حسين، طه (الدكتور)، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٣٦.

فهم الحاض والتنبؤ عن المستقبل، ودراسة كهذه تعود إلى موضوع فلسفة التاريخ الذى برز فيه ابن خلدون قبل غيره من مفكرى وفلاسفة العالم. لقد قسّم الدكتور الحسن المجتمعات إلى نوعين من المجتمعات البشرية مجتمعات ريفية ومجتمعات حضرية وهذه الفكرة تعتمد أساسًا على الدراسة التى اعتمدها ابن خلدون والتى كانت تنطوى على فكرة تقسيم المجتمعات فى العالم وهى المجتمعات البدوية التى تتميز بكثافة سكانية واطئة والمجتمعات الحضرية التى تتميز بكثافة سكانية عالية.

أما مؤلفاته الأخرى التى دخلت ضمن هذا الاتجاه فمنها مؤلفه الموسوم «علم الاجتماع السياسى» الذى تحدث فيه الدكتور الحسن عن موضوع القيادة وحدد صفات القائد موضحًا أهمية ودور القائد فى المجتمع، ومؤكدًا على ضرورة أن يتسم القائد بصفات إيجابية ونادرة تؤهله على القيادة واحتلال الموقع المؤثر فى الدولة والمجتمع وتمكنه من أداء المهام والمسؤوليات الخطيرة التى يضطلع بها والتى يعتمد عليها تقدم ونهوض وازدهار المجتمع.

ولو رجعنا إلى تاريخ الفكر الاجتماعى لوجدنا أن الفارابى قد شخّص أهم الصفات التى ينبغى أن تتوفر عند القائد وأهمها الذكاء والشجاعة والتواضع والعدالة وحب العلم والتضلّع بالدين واللباقة وفصاحة اللسان وسلامة الجسد والعقل والمرونة... إلخ.

وفى نفس المؤلف أعلاه نلاحظ تأثر الدكتور الحسن واضحًا بأفكار إخوان الصفا عندما درسوا البناء الطبقى فى المجتمع إذ قسّموا المجتمع إلى طبقات مختلفة ووضحوا المقاييس الموضوعية والذاتية للانتماءات الطبقية وقسّموا المجتمع إلى ثلاث طبقات هى طبقة الحكام النبلاء وطبقة الأغنياء وطبقة الفقراء وهى نفس الطبقات التى تناولها الدكتور الحسن فى مؤلفه أعلاه[1].

وفى مؤلفه الموسوم «التصنيع وتغير المجتمع» حلّل الدكتور الحسن العلاقة بين البناء الاقتصادى والبنى المؤسسة للمجتمع وهى البناء الأسرى والبناء الثقافى والبناء

---

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، علم الاجتماع السياسى، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٤، ص ٢٠٥ - ٢١٠.

السكانى، وتحدث عن العلاقة التفاعلية بين البناء الاقتصادى والبنى المؤسسية الأخرى وهى البناء التربوى والسكانى والسياسى. وهنا تأثر الدكتور الحسن بالطروحات الفكرية التى أشار إليها ابن خلدون فى كتابه المقدمة عندما درس نظم العمران البشرى كالعمران الاقتصادى والتربوى والدينى والطبقى(١).

وهناك كتاب «العائلة والقرابة والزواج» الذى نشره الدكتور الحسن عام ١٩٨١ والذى تأثر بمعلوماته بما جاء فى فكر الغزالى لا سيما عندما تكلّم عن أصول التنشئة الاجتماعية وكيفية تربية الناشئة والصغار والشباب وماهية القيم التى يمكن أن تزرعها العائلة فى نفسية الابن، وقد يبدو هذا التأثر واضحًا من خلال الطروحات الفكرية التى جاء بها الغزالى فى كتابه «أيها الولد»(٢).

أما بحوث الدكتور الحسن التى تأثرت بأفكار ونظريات المفكرين الاجتماعيين العرب فبحثه الموسوم «علم اجتماع ابن خلدون كما يفسره علماء الغرب» الذى يبدو تأثر الدكتور الحسن واضحًا من خلال تأكيده على أسبقية ابن خلدون فى اكتشاف علم الاجتماع قبل غيره من علماء الغرب(٣).

وأوضح الدكتور الحسن فى هذا البحث بأن أول من اهتم بدراسة ابن خلدون فى الغرب المفكر الألمانى فون هامر الذى ألف كتابًا عن اضمحلال الحضارة العربية الإسلامية وقد أشاد بابن خلدون وبمؤلفاته خصوصًا كتابه المقدمة ولقّبه بلقب مونتسكيو العرب، واعترف بأصالته فى البحث والدراسة العلمية، وكل ما يقال عن ابن خلدون فإنه يدل على أصالته وعبقريته فى الحقول التى كتب عنها خصوصًا حقل الاجتماع والتاريخ والفلسفة.

أما بحثه الموسوم «الأوليات التاريخية لاهتمامات العرب بعلم الاجتماع» فقد تحدث فيه الدكتور الحسن عن أهم المساهمات التى قدمها المفكرون الاجتماعيون العرب

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، التصنيع وتغير المجتمع، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (٢٧٤) منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨١، ص ١١ - ٥٠.

(٢) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، العائلة والقرابة والزواج فى المجتمع العربى، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص ٩ - ٢٠.

(٣) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، علم اجتماع ابن خلدون كما يفسره علماء الغرب، مجلة الاستشراق، العدد الرابع، شباط، ١٩٩٠، ص ٦٨ - ٨٠.

والتى نتج عنها بلورة الأسس والمفاهيم العلمية للفكر الاجتماعى العربى. فقد تناول أهم مساهمات الفارابى وإخوان الصفا وابن خلدون وابن بطوطة موضحًا أن ما جاء به علماء الاجتماع العرب والغربيون الكلاسيكيون منهم والمحدثون ما هو إلا بالحقيقة امتداد لما طرقه المفكرون الاجتماعيون العرب فى سياق نظرياتهم عن طبيعة المجتمع وقوانين ثباته وتحوله، وماهية النظم الاجتماعية وتكاملها والعلاقة بين الفرد والجماعة وبين الجماعة والمجتمع من جهة أخرى[١].

ومن البحوث الأخرى فى هذا المجال بحثه الموسوم «الجذور التاريخية لمناهج العلوم الاجتماعية عند العرب». ففى هذا البحث تناول الدكتور الحسن اهتمامات المفرين الاجتماعيين العرب بقضايا المنهج وأصول البحث الاجتماعى مركزًا على عدة مناهج علمية ساعدتهم على جمع وتصنيف وتحليل وصياغة الفرضيات والنظريات والقوانين الكونية المفسرة للظواهر والنظم والعمليات الاجتماعية التى اهتموا بها. وقد أوضح الدكتور الحسن أهم المناهج التى اعتمدوها فى دراساتهم ومؤلفاتهم كالمنهج التاريخى والمنهج المقارن والمنهج الاستقرائى[٢].

***

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، الأوليات التاريخية لاهتمامات العرب بعلم الاجتماع، مجلة المورد، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦، ص ٦٠ - ٧٢.

(٢) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، الجذور التاريخية لمناهج العلوم الاجتماعية عند العرب، المورد، العدد الثانى، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨، ص ٧٣ - ٨٥.